# المحاضرة رقم: 05

# التفكيكية

## I- المفهوم، المنشأ والمنطلقات.

### 1- مفهوم التفكيكية:

إن التفكيكية مشروع قراءة جديد، تمرد على كل ما هو مألوف من تقاليد فكرية، وعلى هذا الأساس فالتفكيكية وبتصريح من أحد أعلامها ومؤسسها "جاك دريدا" (Jacques Derrida) ليست نظرية ولا منهجا، بل هي استراتيجية قراءة خاصة ومميزة للخطاب بمختلف أنواعه؛ ويتم ذلك بتدمير النصوص الإبداعية من الداخل للوصول إلى البؤرة الكامنة في عمقها.

فالتفكيكية تنظر إلى النص على أنه كتلة غامضة لابد أن نفجرها من الداخل لنكشف عن جوهرها الكامن في مركزها، ومن هنا يأتي سبب تسميتها تفكيكية والتي تعني في المصطلح الأجنبي لفظة (Deconstruction) وهي مناقضة للفظة (Construction). وهو مصطلح يدل من ناحية على الهدم (Destuction) والتشريح، وهي دلالات تقترن بالجانب المادي أو المرئي، كما أنه يدل من ناحية أخرى على تفكيك الخطاب بعمق وإعادة النظر إليه من زوايا مختلفة.

والحقيقة، كما نعلم، غير متاحة للجميع، وهذا النوع من القراءة هو بمثابة حفر وخلخلة للخطاب، تثبت إن كان الخطاب صامدا أم هشّا. وبهذا فلا تصمد إلاّ النصوص القوية، فالتفكيكية هي «بحث أبدي في النسق الداخلي للنص، وخلخلة وتفكيك لكل المعاني التي تستمد منشأها من اللوغوس وبالخصوص معنى الحقيقة».

وعلى هذا فالتفكيكية لا تبحث عن النصوص الظاهرة الصريحة المعتمدة على المنطق بقدر ما تبحث عما يوجد بها من تجاوزات، فتبحث عن القوانين والمعايير التي وضعت في النص من البداية؛ أي تبحث عن المسكوت عنه. وباختصار فالتفكيكية هي: «عملية تعرية للنص وكشف وهتك لكل أسراره وتقطيع أوصاله وصولا إلى أساسه الذي يستند إليه».

أ.د سعدية بن ستيتي

ولا تكتف التفكيكية بهتك النص وتفتيته، بل تعيد إنتاجه في خطاب جديد وبرؤية مغايرة، وهذا الإنتاج بدوره قابل للتفكيك مرة أخرى. ومنه فالتفكيك، كيفية قراءة لا تحافظ على أصول النص، بل تعمد إلى هدمها لتبني من جديد وفق وجهة نظر جديدة قد تكون مغايرة لوجهة نظر الصاحب الأصلي للنص الأدبي.

إنّ عدم تحديد ضوابط واضحة في التفكيكية هو ما زاد من الانتقادات حولها وحول عدم فاعليتها كمنهج لتضم ضمن إستراتيجيات القراءة المختلفة.

**2- منشأ التفكيكية:**

إن منشأ التفكيكية يعود إلى أفكار الفيلسوف "نيتشه" الذي انتقد مفهوم الحقيقة، ثم جاء بعده "هيدجر" (M. Heidgger) الذي ابتكر مصطلح التفكيك، وبحث عن الخطاب الغائب أو المغيب، وقد ساهم بشكل مباشر في تكوين ثقافة وفلسفة مؤسس التفكيكية "جاك دريدا" (Jacques Derrida) الذي يعترف بذلك بقوله: «إن ديني لهيدجر من الكبر بحيث أنه سيصعب أن نقوم هنا بجرده أو التحدث عنه بمفردات تقييمية أو كمية ... إنه هو من قرع نواقيس نهاية الميتافيزيقا، وعلمنا أن نسلك معها سلوكا إستراتيجيا يقوم على التموضع داخل الظاهرة وتوجيه ضربات متوالية لها من الداخل».

وقد برز إلى جانب "دريدا" صاحب المنهج الحفري "ميشال فوكو" والذي ركز على العمق في تحليل الخطاب، وهما يشتركان في طريقة تحليل النصوص بفلسفة الإرجاء والغياب والاختلاف.

وكان أول إعلان عن ميلاد التفكيكية في النقد المعاصر في ندوة علمية سنة 1966، حضرها مجموعة من الأعلام منهم: رولان بارث، تودوروف، لوسيان غولدمان، ج. لاكان، وجاك دريدا الذي ألقى محاضرته في جامعة "جون هوبكنز" والتي كانت بعنوان "البنية والدليل واللعب في خطاب العلوم الإنسانية"، كذلك عرف بكتابه "الكتابةو الاختلاف" الذي كان له صيتا قويا، وقلب موازين العقل الأوروبي.

ثم بدأ "دريدا" يبرز كمنظر حقيقي للتفكيك برفقة رولان بارث الذي كان أكثر استيعابا للفرضيات التفكيكية.

وألف "رولان بارث" كرائد في التفكيكية كل من كتابيه "S/Z" (س/ز) عام 1970م، و"لذة النص" 1973م، والذي أوضح فيهما نقده المبدع، وقراءة ذات إستراتيجية جديدة لم

يألفها الوسط النقدي آنذاك، وكان قد أبهر الجميع بمصطلح الشفرة وفكها، وغير ذلك من مصطلحات النقد الجديد.

ويضمن "رولان بارث" في أبحاثه تعددية المعنى، حين فصل بين التعييني (Le Dénotatif) والتضميني (Le Connotatif)، فلا معنى للنص إلا في إطار تناسل المعنى وتعدديته. وهو بذلك تكريس مبدأ الاختلاف الذي نادى به رواد التفكيكية.

لكن يبقى "دريدا" الاسم الأكثر اقترانا بالتفكيك، وكان ذلك من خلال ما ألفه من كتب منها: "الكتابة والاختلاف"، "حول علم القواعد"، "الكلام والظواهر".

## 3- منطلقات التفكيكية:

لقد وضع "جاك دريدا" بعض المنطلقات التي بررت وجود التفكيكية، كونه مؤسسها الأول عام 1966، ومن بين المنطلقات نجده يرفض ثلاث مقولات وهي: 1- سلطة العقل، 2- سلطة الحضور، 3- المقولات البنيوية.

وكان "دريدا" يدعو إلى هدم المألوف وعدم التقيد بالقوالب القديمة البعيدة عن زمن الإنسان المعاصر، وكان ذلك ثورة على فلسفة العقل والحضور والبنيوية التي سيطرت بمقولات لعقود طويلة جاعلة من النصوص الإبداعية كيانا بلا روح.

وبهذا كان "دريدا" يبتعد عن المركزية الغربية التي وجدت لتفرض سلطة أحادية تفتقر إلى التفاعل، وتفصل بين الخطاب الجمالي والخطاب الفلسفي.

### 3-1- رفض سلطة العقل (نقد التمركز):

لقد ساد الفكر الغربي فترات طويلة من التمركز حول سلطة العقل وميتافيزيقا الحضور، فحاول "دريدا" أن يكشف عن سر هذا التمركز الغربي، فانتقد الميتافيزيقا التي وجهت الفكر الغربي وأثرت في كل ما ألفه الفلاسفة والمفكرين ليصل إلى نقاط هدمها أو تفكيكها.

أي أن ما كان يؤلف مقيد موجه من قبل ميتافيزيقا الحضور وسلطة العقل الغربي، وقد سمى "دريدا" هذه السيطرة بالمركزية الغربية أو التمركز حول العقل (Logos, logocentrisme)، ليبطل مقولات دامت قرونا، وكذلك ليحرّر العقل البشري من سيطرة مبنية على أفكار مسبقة تهدف إلى كبح الخيال وكبح طموحات الإنسان المثقف والمبدع.

أ.د سعدية بن ستيتي

نلمح مما سبق ذكره، أنّ فلسفة التفكيك تطمح إلى الهدم للكشف عن الجوهر ومن ثم إعادة البناء للحصول على استمرارية في الإبداع والفكر لتوليد دلالات جديدة.

وعلى هذه الحال، فإن أي خطاب أدبي لا يمكن له أن يقول الحقيقة، وحتى وإن بدت، فإن ما يخفيه هو الحقيقة ولا تظهر إلا بهدم النص حتى لا يصبح نصا، أو يصبح نصا آخرا في قالب جديد.

بهذا يتضح، أن مفهوم تفكيك العقل لدى دريدا ليس معناه "اللاّعقل"، وإنما يعني رفض ما كان متداولا من أفكار سيطر عليها العقل والفلسفة لفترة طويلة، في أولية المضمون المحدد، ونظام "دي سوسير" (De Saussure) الذي كرس الثنائيات، ليعطي مجالا للباحث كي يبحث عن الدلالات بحرية، يقوم عمله على مبدأ الشك في كل شيء وعدم التسليم بأبسط الأمور، أي أن يقوم القارئ بإعادة البناء في كل ما يتعلق بالبنى العميقة للنص. إذن "دريدا" يريد إبعاد سلطة العقل وتعويضها بسلطة الذات.

**3-2- رفض مقولة الحضور وإرساء مقولة الغياب:**

إنّ ثورة التفكيكية تقتضي وضع حد للميتافيزيقا، وهذا بدوره يؤدي إلى وضع حدّ لوعي الإنسان الذي جعل من نفسه مركزا للكون.

حسب "دريدا" أن فلسفة الحضور تبدأ مع "أفلاطون" وصولا إلى "هيغل" وفيها تختزل الذات داخل الوعي باعتباره المركز. ومنطق "هيغل" هو امتداد لمن سبقوه من فلاسفة، وهو في عمومه يعبر عن فلسفة الحضور.

وفلسفة الحضور تقتضي حضور الشيء، فالإنسان يدرك ما هو حاضر وموجود، وهذا مرتبط بالعقل والوعي، لكن "دريدا" أراد تبديد هذه الرؤية، فالأصل في البحث لا يكون فيما هو حاضر وظاهر، بل فيما هو غائب ومستعص عن الظهور، أو أنه لا يظهر للجميع، وهو بذلك يؤسس لفلسفة الغياب.

وقد تأثر "دريدا" في هذه الفلسفة بما قدمه "هيدجر"(Martin Heidegger)، الذي دعا إلى الاختلاف لبناء الآخر الغائب المغاير الذي عجز العقل عن إدراكه وفهمه.

تنطبق هذه الرؤية على القراءة الجديدة للخطاب الأدبي؛ إذ يعتمد "دريدا" على المدلول الغائب الذي يصبو إليه القارئ والذي لا يتأتى بسهولة بل بعناء وجهد كبيرين، وفي

أ.د سعدية بن ستيتي

الغالب يبقى المدلول مؤجلا، ويكون مختلفا من قارئ إلى آخر حسب إمكانياته الثقافية والخيالية والفنية.

مما سبق يتضح لنا، أن "دريدا" يرفض ما يرتبط بالعقل مباشرة ويرفض التسليم بالحقائق ببساطة، لا يوجد شيء طبيعي من دون أسباب أوجدته، وكذلك "دريدا" لا يبحث فيما هو موجود وظاهر ومرئي، بل يبحث فيما هو متخفّ وغير واضح وغائب عن إدراكنا.

لقد بنى "دريدا" أفكاره على هدم ما هو موجود وحاضر والبحث عما هو غائب وغير متاح، كما انبنت أفكاره على الغموض الذي سيطر على طريقة تعبيره عن وجهة نظره في قراءة الخطاب الأدبي، وهذا الغموض قد يجعلنا نظن أن وراءه ذكاء مفرط، قد يفوق ذكاء كل القراء المعاصرين!!

والكثير من الدارسين يصفون ما يكتبه "دريدا" بالغامض المليء بالاستعارات حتى مترجمة كتاب "في علم الكتابة" منى طلبة رفقة "أنور مغيث" تعيب على "دريدا" طريقته في التعبير، وعبرت عن ذلك، بأن "دريدا" يفرط ويتمادى في بلاغيته، ويستخدم صيغ المفارقة، ويلعب كثيرا بالكلمات، بل يكثر من المفردات المستحدثة.

وهذا الطابع الشعري هو الذي جعل كتاباته غامضة، بل ويريد "دريدا" من الأعمال الإبداعية أن تكون كذلك غامضة.

**3-3- التمرّد على البنيوية:**

من بين آثار البنيوية عدم الاهتمام بالجوانب الجمالية للنص الإبداعي، ولعل هذا الأمر، جعل التفكيكية تثور ضد آليات التحليل البنيوي الجافة والتي تجعل من النصوص الإبداعية قوالب متشابهة.

وكذلك اعتماد البنيوية على مقول الجزء الذي يبني الكل، وجعل الجزء خاضع لكل مميزات الكل في بنائه المصغر أو كوحدة مصغرة للكل.

فالتفكيكية ترى أن النقد البنيوي كبل الخيال، وجسد فلسفة الحضور بقوة، ولم يصل إلى عمق الخطاب الأدبي بطريقته السطحية في التحليل، لذلك نجد التفكيكية ترفض فلسفة الحضور وتعوضها بفلسفة الغياب، ويصبح التأويل مكان التجزيئ البنيوي، وبذلك ترفض التفكيكية النمذجة التي اقتضتها البنيوية والتي قضت على جمالية النص بعدم الكشف عن الطاقة الإبداعية الكامنة في أعماقه.

أ.د سعدية بن ستيتي

والتفكيكية ترفض "البنية" في حد ذاتها كمصطلح نقدي، لأن البنية مرتبطة بالمركز، ولا يوجد مركزية، فالأولى تهديم هذه البنية.

إن الدراسة البنيوية في نظر التفكيكية هي دراسة صماء لا جدوى منها سوى الرصف والوصف السطحي الذي يخدم أساليب الكلام واللغة لا الفكر وأغواره. والنقد الذي لا يقوم على الاختلاف غير جدير بالبقاء والصمود.

## II- الأسس والمقولات.

### 1- أسس ومقولات التفكيكية:

#### 1-1- سلطة القارئ وموت المؤلف:

يعد "ملارميه" (Mallarmé) أول من تصدى للمؤلف عندما ألح على ضرورة إحلال اللغة مكان المؤلف، معتبرا بذلك النص خير معبر عن ذاته فلغته متحدثة عن نفسها في غياب المؤلف.

وبعد ذلك تلاه كل من "فاليري" (Valleri) و"بروست" (Prost)، كما ظهر مصطلح "الكتابة السريالية الجماعية" فيما بعد والذي يعني غياب الجهد الفردي في الكتابة، لتصبح عملا جماعيا، ومن ثم تغييب المؤلف، ثم تأتي اللسانيات التي وجهت عمل النقاد نحو اللغة كونها جديرة بالبحث على غرار أي سياقات أخرى. ومن ضمنها المؤلف فهو خارج عن النص، وفي الختام كانت صرخة البنيوية واضحة بإطلاق مقولة موت المؤلف.

ولقد دافع "رولان بارث" (Roland Barthes) عن هذه الفكرة بقوة -وهو من أعلام البنيوية وما بعد البنيوية- في مؤلفاته ليحول مسار النقد الجديد نحو وجهة القارئ لاغيا المؤلف، إذ يقول: «لكي تسترد الكتابة مستقبلها، يجب قلب الأسطورة، فموت الكاتب هو الثمن الذي تتطلبه ولادة القراءة».

يكفينا دلالة أنّ "رولان بارث" أوّل من كتب مقالا صريحا عن موت المؤلف وعنونه "موت المؤلف" سنة 1968، وكان مقالا جريئا غير موازين النقد المعاصر وحدد وجهة العمل النقدي لينطلق من النص متجها نحو القارئ، لا إلى المؤلف، وقد صرح في المقال بأن من يكتب هو "أنا" ورقي وليس حقيقي.

إنّ "رولان بارث" بإطلاقه شعار "موت المؤلف"، إنما يرحب بميلاد قارئ جديد «يتقصّى غاية المعنى ومنتهاه، ويلقي حبل القراءة على الغارب، يلقي نفسه في منقلب

جدلي، وذلك أنه وأخيرا، لا يفك سنن النص، بل يضع سننا آخر فوق سنن النص، وهو أيضا لا يقرأ الخط، بل هو ينتج،...».

وبهذا تصبح القراءة الإبداع الثاني المقابل للنص من قبل القارئ؛ أي إعادة إنتاج واقع مشكل من واقع سابق يتمثّل في النص وأنّ القارئ يتعامل مع النص في إطار معرفته للّغة التي تشكل منها، فيتفاعل مع النص انطلاقا ممّا يملكه من أدوات معرفية تؤهله.

**1-2- مبدأ الاختلاف وتوالد الدلالات:**

إنّ التّعدد في الدلالات وانسيابية التأويل في النصوص الإبداعية هي تقنية جديدة في إطار نظريات القراءة والتلقي، وقد سعى النقد التفكيكي إلى التركيز على مبدأ الاختلاف بين القارئ والمؤلف، والاختلاف أيضا بين القارئ والنص، وبين قارئ وآخر، هذا الذي سيعطي مجالا واسعا لتوالد معاني النص ودلالاته.

والدلالة بهذا المعنى مرتبطة بالآخر الغائب (العالم الغائب)، الذي ينفلت دائما ولا يمكن الإمساك به من قبل الناقد المعاصر، مما يحفز القارئ دوما على مواصلة البحث عن الدلالة الغائبة، هذا الذي يدل بعينه على الاختلاف.

إنّ أصول مبدأ الاختلاف في التفكيكية يعود إلى معارضة الفلسفة الظواهرية عند "هوسيرل" (Husserle) القائمة على العلاقة بين "الأنا" المتعالية (المثالية) و"الأنا" الحية (الواقعية)، أي الذات القارئة والتي حددتها بعلاقة تطابق في حين أن التفكيكية ترى أن هذه العلاقة لا يمكن أن تكون كذلك، فأيّ التقاء بين المثالية والحياة الواقعية؟!

ويقوم مصطلح الاختلاف في التفكيكية على تعارض الدلالات إلى أن يخرج المصطلح من دلالته المعجمية ليكتسب دلالة اصطلاحية، ويقول "دريدا" في ذلك: «نحن نعني بالاختلاف الإزاحة التي تصبح بواسطتها اللغة أو الشفرة، أو أي نظام مرجعي عام ذي ميزة تاريخية، عبارة عن بنية من الاختلافات».

ومنه فإن الاختلاف يقوم على مبدأ التعدد والتشتت؛ إذ تحدث مفارقة كبيرة بين الدلالات لا تتوقف، بل تحدث ثورة لدى القارئ في البحث عما هو أصلح منها نافيا بعضها متشبّثا ببعضها الآخر، ويطرح ما يشاء منها، ويصرف نظرا عما يشاء منها،...وهكذا دواليك لا يهنأ القارئ ولا يستقر على حال وعلى مدلول معين، ليترك عمله في النهاية محاولة يغلب

أ.د سعدية بن ستيتي

عليها العبث –إن صحّ القول– والإرجاء لوقت لاحق، وتصبح قراءته مفتوحة لبداية قراءات أخرى، وبهذا فالمعاني تبقى مؤجلة ضمن مبدأ الاختلاف.

يتجسد الاختلاف من خلال وجود ثنائية الغياب والحضور، والتي تتمثل في أن الغياب عكس الحضور، فحين تعجز عن إحضار شيء ما نحضر غيره أو ما يشبهه ونشير إليه بكلمة. فالكلمة علامة مؤقتة، وهي إرجاء للأشياء والمعاني في حالة غيابها، واللغة تحضرها بشكل متخيل.

**1-3- الأثر (Trac) (التّناص (Intertextualité) أو التكرارية (Itération)):**

إن النص لبا يحمل لغة وحسب، ولا مجرد شكل، بل هو كيان متكامل ويشغل حيزا ثقافيا ومعرفيا أدى إلى وجوده، فالموروث اللغوي والثقافي سابقين لوجود النص.

ومنه ففرضية وجود تناص في النص الإبداعي أمر حتمي لا مفر منه ولا مجال لإلغائه، فالنصوص تترك نفسها في مواقف كثيرة ولا تنطلق من العدم، بل هي خلاصة لكتابات سابقة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

ودون شك، التفكيكيون من مناصرين فكرة التناص، فلا وجود لنص معزول عن البيئة الإبداعية والأطر السياقية الإبداعية، وكما نعلم فقد برز في سماء التناص كمصطلح نقدي، أعلام كثر مثل "ميخائيل باختين" (M. Bakhtine) الذي جعل التناص مرادفا للحوارية، لأنه يعتبر أن النصوص تتحاور فيما بينها بهذه الوسيلة.

كذلك نذكر "جوليا كريستيفا" (Julia Kristiva) التي اعتبرت النص مزيج من نصوص عديدة أطلقت عليها الفسيفسائية، فالنص برأيها متشكل من العديد من التحف والمختارات من النصوص السابقة سواء بشكل واضح صريح، أو خفي متضمن. ذلك أن الكاتب في أصله قارئ اطلع على العديد من النصوص عبر مراحل تكونه ككاتب وتغلغلت في لا شعوره لتصبح فيما بعد تجربة إبداعية.

كل هذا يؤكد أن النص ليس بنية سطحية، بل هو تشابك لعلاقات متعددة، والقارئ الفحل هو الذي سيتمكن من أغواره وفق ما تقتضيه التفكيكية.

ويأتي "رولان بارث" الذي جعل التناص وسيلة ترابط وتصارع وتحاور بين الثقافات من خلال النصوص الأدبية؛ إذ يرى أن الأصل في النص هو تمكن المؤلف من توظيف ما

أ.د سعدية بن ستيتي

ليق من النصوص في المقام المناسب ليزيد النص ثقلا وخصوبة لتوليد دلالات قوية، فالنص الذي لا تعتمد على هذا السند هو نص بلا ظل.

كما اعتبر "دريدا" التناص عتبة حوارية يمكن من خلالها البحث عن الآخر الغائب ولكن بالاعتماد على لغة النص. نشير فقط في هذا المقام بأن "دريدا" لم يستعمل مصطلح "التناص" بل عبر عنه بكلمة أخرى هي "الأثر" (Le Trac) ربما بذلك أراد أن يثبت أن للنص آثار يستقطبها مما سبقه من نصوص وسياقات ومرجعيات.

لكن "دريدا" لا يكتف بمصطلح الأثر الذي لم يقصد به التناص وحسب بل قصد به أيضا الكتابة، ويستبدل مصطلح الأثر بمصطلح آخر هو التكرارية (Itération) ليجعله في مقابل مصطلح التناص؛ إذ أنه يلغي وجود حدود بين نص وآخر، فالنص يخضع إما للاقتباس، وإما يتداخل مع نصوص أخرى، فأي نص معرض للنقل إلى سياق آخر وفي زمن آخر أيضا، ومنه فالنص حسب "دريدا" خلاصة نصوص سابقة و«نظرية التكرارية لا تعتمد على نية المؤلف ولا تصدر عن إرادته، ولكنها فعالية وراثية لعملية الكتابة، بها تكون الكتابة، ومن دونها لا كتابة، فكل كلمة في النص هي تكرار واقتباس من سياق تاريخي إلى سياق جديد».

وقد ركزت التفكيكية على دور القارئ في الكشف عن التناص في اختبار قراءاته السابقة لنصوص قد يرى فيها التشابه الكبير أو الاختلاف الكبير، وبهذا فالتناص يفضح المؤلف فيما اعتمد عليه من نصوص ومراجع في كتابته للنص الإبداعي، وفاضحه هو القارئ المتمكن المثقف المطالع والمدّكر.

## 2- ثنائية (الكلام/الكتابة) في المنظور التفكيكي:

كانت سبل تلقين العلوم في الأزمان الغابرة هي المشافهة، والذاكرة القوية في الحفظ، وقد كان فلاسفة اليونان يمقتون التدوين، لأنهم يعتقدون أن الكتابة تدمر سلطان الحقيقة الفلسفية.

إن، كانت الكلمة المنطوقة أبلغ من الكلمة المكتوبة، لكن فيما بعد وفي عام 1967 أصدر "جاك دريدا" كتابا قلب الموازين اليونانية بعنوان "علم الكتابة" أو (الغراماتولوجيا) والذي قدم فيه كل ما يثبت أن الكتابة مجال لإثبات الغياب والاختلاف، وهذا هو المنوط لها كونها ميزة هامة من مميزات النصوص الإبداعية.

وهذا في مقابل الكلام الذي يعتبر فعل آني ينتهي أثره بتوقف الصوت الكلامي، وأنه يجسد عالم الحضور وحسب ولا مجال فيه للاختلاف.

وبهذا يعطي "دريدا" قيمة كبيرة للكتابة باعتبارها مبدأ هاما تقوم عليه النصوص الإبداعية المعاصرة، والنقد التفكيكي على وجه الخصوص.

إذن، فالكتابة لا تفترض متكلما، فما هو مرسوم على الورق من خطوط وحركات ورسومات ونقوش كفيل بإيصال الدلالة، وأن الكلام الذي يعتمد على أصوات مشكلة في الهواء تنتهي بتوقف المتكلم عن الكلام الذي لا يملك خاصية البقاء. بينما الكتابة تحظى بخاصية البقاء والاستقلالية عن صاحبها، مما يفتح آفاق معالجتها دلاليا، وبذلك تخلق عالم الاختلاف المؤدي إلى تناسل المعاني والدلالات وبذلك أيضا يتجسد عالم الغياب الذي يبحث عنه النقد التفكيكي.

والكتابة حسب "دريدا" ليست وعاء لشحن وحدات معدة سلفا، «ولا تقف ضد النطق، وتمثل عدمية الصوت، وليس للكينونة عندئذ إلا أن تتولد من الكتابة وهي حالة الولوج إلى لغة (الاختلاف) والانبثاق من الصمت، أو لنقل أنها انفجار السكون».

هكذا إن انتقد "دريدا" ثنائية الدال والمدلول (التمركز المنطقي) عند دي سوسير أو لنقل تأثير هذا التمركز المنطقي على الدراسات النقدية المعاصرة. وبذلك يعتبر "دريدا" الكتابة أثرا، وهي ليس أثرا خالصا بل شكلا من أشكاله ولا وجود للأثر الخالص في هذا الوجود، أي لا وجود لحقيقة كاملة حسب معتقده.

هكذا، تحددت الكتابة في ظلال النقد التفكيكي مستوى الشكل والرسم إلى مرحلة إحلال الآخر الغائب أو كما سماها "دريدا" الدلالة السراب التي يتولى القارئ أو الناقد البحث عن أغوارها من خلال سواد (كتابة) منتشر على بياض (فضاء الورقة) ويوجد لنفسه ما يجب من قرائن ليطرح تأويلات وينبش بحثا عن الدلالة السراب التي قد لا يمسك بها!!.

**في الختام:**

لقد لقي النقد التفكيكي نفورا كبيرا في الأوساط الفكرية الغربية بالرغم من وجود إقبال كبير عليه، وذلك لجرأة الأفكار التي يطرحها والتي لا تقيم وزنا لسلطة العقل التي طالما سيطرت على الرؤى النقدية في كافة النظريات والمناهج.

فما بالنا في البيئة العربية التي لا زالت فتية تستقبل كل ما هو غربي وتعتبره تطورا فكريا، فقد ظهر نقاد عرب انتقدوا هذه الطريقة المستحدثة في تحليل النصوص ونقدها، بل استهجنوها ولم يجدوا لها مبررات منطقية أو عقلانية، كما ظهر نقاد استهوتهم مغامرة البحث في النقد التشريحي برؤاه الجديدة التي لغت مقولات خلفتها البنيوية لمدة من الزمن.

لكن ما عيب على النقد التفكيكي، سواء في البيئة العربية أو في منشئه البيئة الغربية، أن معالمه لا زالت غير واضحة ولا يوجد نموذج واضح عن النقد التفكيكي وأن ما قدمه أعلامه لا يعد إلا محاولات تنبثق عن النقد السيميولوجي، وكذلك نظريات القراءة المعاصرة.

لذلك نجد العديد من النقاد الغرب، يحتملون عدم اكتمال الرؤية النقدية أو التجربة النقدية لدى أصحاب النقد التفكيكي، وربما في المستقبل ستظهر معالم وأسس هذا النقد بوضوح، وربما سيأفل هذا النقد الذي لم يحدد محطاته وأسسه بعناية، وتركها تسبح في الغموض والسراب.

أ.د سعدية بن ستيتي